الاستقصا لحديث

«أخذ بيدي وعدّ خمسًا»

د. محمد محمود مصطفى

الاستقصا لحديث «أخذ بيدي وعدّ خمسًا»

محمد محمود مصطفى

البريد الإلكتروني : ahmadkhater57@gmail.com

الملخص :

بحث «الاستقصا بحديث أخذ بيدي وعد خمسًا» من الأبحاث التي جمعت بين فني الدراية والراوية؛ حيث تعرض فيه الباحث إلى روايات الحديث صحة وضعفًا بالإضافة الى المعاني الشرعية والتربوية التي يمكن أن تساند المسلم في هذا العصر الذي اتسم بالسرعة والعشوائية. وسرت فيه مسيري في الأبحاث السابقة: من بيان صحة الخبر مع ذكر مخرجيه، ثم ذكر الفوائد المستخلصة منه بما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، ولا سيما على المستوى النفسي الذي بدأ يهتز ويضطرب في أوساط بعض الناس، وأسال الله تعالى أن يقبله مني قبولًا حسنًا مباركًا، وأن ينفع به كل من يقرأه أو ينظر فيه. **وإنما دعاني إلى كتابة هذا البحث عدة أمور منها** جمع طرق الحديث وتخريجها ودراستها، والوقوف على درجة الحديث صحة وضعفًا؛ لما لذلك من أثر واضح على استخراج الأحكام منه. من خلال النظر والتتبع لطرق حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ"؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ:" **اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**" فإنه يقوى القول بثبوت الحديث وكونه حسنًا بمجموع طرقه وشواهده؛ تشهد عباراته بأنه خرج من مشكاة النبوة، ومن مَعِين الرسالة، وعلى هذا جرى عمل طائفة كبيرة من العلماء رحمهم الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الاستقصا – أخذ بيدي – عد خمسًا. فن الدراية – فن الرواية

Investigation of the hadith “He took my hand and counted five”

Muhammad Mahmoud Mustafa
E-mail: ahmadkhater57@gmail.com

Abstract:

The research “Investigation of a Hadith: He took my hand and counted five” is one of the researches that combined the two techniques of knowledge and narrator; In it, the researcher was exposed to the authentic and weak hadith narrations, in addition to the legal and educational meanings that can support the Muslim in this era, which is characterized by speed and randomness. And I followed my path in previous research: by stating the authenticity of the news and mentioning its sources, then mentioning the benefits derived from it in a way that benefits people in their religion and their world, especially on the psychological level, which began to shake and become disturbed among some people, and I ask God Almighty to accept it from me with good and blessed acceptance. And that it will benefit everyone who reads it or looks at it. However, I was prompted to write this research by several things, including collecting the methods of hadith, graduating and studying them, and determining the degree of the hadith’s authenticity and weakness. Because this has a clear impact on extracting rulings from it. By looking at and following the methods of the hadith of Abu Hurairah, may God be pleased with him, he said: The Messenger of God, may God’s prayers and peace be upon him, said: “Whoever takes these words from me and acts upon them or teaches whomever he Are you bored with them? Abu Hurairah said: So I said: I am, O Messenger of God, so he took my hand and counted five, and said: “Beware of forbidden acts and you will be the most devout of people, and be satisfied with what God has apportioned for you.” Be the richest of people, be good to your neighbor, be a believer, and love for people what you love for yourself, be a Muslim, and do not Laughter, for excessive laughter kills the heart.” The statement is strengthened by the fact that the hadith is proven and that it is good based on the sum of its methods and evidence. His expressions testify that he emerged from the niche of prophecy and from the source of the message, and a large group of scholars, may God Almighty have mercy on them, did this.

Keywords: Investigation - Take My Hand - Count Five. The Art Of Knowledge - The Art Of Narration

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه.. وبعد؛

فإن السّنة نبعٌ صاف، وورد شاف، لا يلِجُها أحد إلا وصدر عنها بكل خير وبركة، ولم أزل –بتوفيق الله تعالى– أتلمس خطاي في النهل من معينها واستخراج درر العلوم من مكنونها، كيف لا وصاحبها هو إمام الإسلام، وقدوة الأنام صلى الله عليه وسلم، وقد علم القاصي والداني مقام إمام أهل الحديث والرواية في الصحابة: عبد الرحمن بن صخر الدّوسي، أبي هريرة رضي الله عنهم وعنه، وقد وفّق الله تعالى لأن يقع النظر على أحد أحاديثه رضي الله عنه، وفيه: «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي وعدّ خمسًا...»، فوقع في القلب أن هذه الوصية المباركة، والنصيحة الموفقة من سيد الخلق صلى الله عليه وسلم لها من الأهمية ما ينبغي الدلالة عليها، والتوجيه إليها، ومع البحث والتنقيب وإعمال النظر والفكر في مفردات هذه الوصية، ظهرت معالم النبوة وأنوار الرسالة؛ فلا تنقضي فوائدها، ولا تنتهي فرائدها، فكان هذا البحث :"**الاستقصا بحديث أخذ بيدي وعدّ خمسًا**" وسرت فيه مسيري في الأبحاث السابقة: من بيان صحة الخبر مع ذكر مخرجيه، ثم ذكر الفوائد المستخلصة منه بما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، ولا سيما على المستوى النفسي الذي بدأ يهتز ويضطرب في أوساط بعض الناس، وأسال الله تعالى أن يقبله مني قبولًا حسنًا مباركًا، وأن ينفع به كل من يقرأه أو ينظر فيه.

والله تعال المسؤول أن يجنبني فيه الزلل، وأن يأخذ بيدي أخذ الكرام عليه؛ إنه أكرم مسؤول وأجلّ مأمول، وأن يتقبله مني قبولًا حسنًا، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

والله أرجو في أموري كلها *** معتصمًا في صعبها وسهلها

وإنما دعاني إلى كتابة هذا البحث عدة أمور:

١– جمع طرق الحديث وتخريجها ودراستها، والوقوف على درجة الحديث صحة وضعفًا؛ لما لذلك من أثر واضح على استخراج الأحكام منه.

٢ – بيان الأثر النفسي والفوائد الشرعية والتربوية؛ بما يفيد القارئ في حياته ومجتمعه.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تفصيلية شملت حديث الباب بالبحث والدراسة وبيان البعد النفسي، وإنما شأنه شأن كثير من الأحاديث النبوية؛ يأتي الكلام عليها في جملة معها، مبثوثة في المطولات من شروح كتب السنة.

وقد جاء البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس عامة:

المقدمة:

وفيها: تمهيد، وأسباب الكتابة في الموضوع، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول:

بيان لفظ الحديث ومخارجه، وذكر من أودعه من الأئمة في مصنفاتهم، ودرجته.

المبحث الثاني:

بيان الفوائد والنكات المستخرجة من الخبر من كلام أئمة الدِّين.

الخاتمة:

وذكرت فيها أهم ما توصّلت إليه من نتائج أثناء الدراسة.

وفي كل ذلك أورد من أقوال العلماء ما يناسبه، ومن الأمثلة ما يدل على المعنى المراد.

الفهارس.

المبحث الأول

بيان لفظ الحديث ومخارجه، وذكر من أودعه من الأئمة في مصنفاتهم، ودرجته.

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في "المسند" مسند: أبي هريرة رضي الله عنه (٣١٠/١٣) رقم (٨٠٨١ شعيب) وفي (٤٥٨/١٣) رقم (٨٠٩٥) من حديث عبد الرزاق،

والترمذي في "جامعه" كتاب الزهد، باب: الصحة والفراغ (٥٥١/٤) رقم (٢٣٠٥)، والطبراني في "الأوسط" باب: من اسمه محمد (١٢٥/٧) رقم (٧٠٥٤) من طريق بِشْرِ بْنِ هِلَالٍ الصَّوَّاف الْبَصْرِيّ،

والبيهقي في "شعب الإيمان "باب: إكرام الجار (٧٨/٧) رقم (٩٥٤٣)، و ابن عساكر في "المعجم" ترجمة: عمر بن مسعود العجمي (٤٧٧/١) رقم (٩٩١) من حديث محمد بن أبي بكر،

والبيهقي في "شعب الإيمان" باب: أن يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه (٥٠٠/٧) رقم (١١١٢٨) من طريق عبد السلام بن مظهر، وأبي يعقوب المروزي،

ورواه أبو يعلى في "المسند" مسند: الحسن عن أبي هريرة (١١٣/١١) رقم (٦٢٤٠)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" ترجمة: عبد الله بن عبد الرحمن الأزدي (٣٢٠/٢٩-٣٢١) من حديث إسحاق بن أبي إسرائيل، و الخرائطي في "اعتلال القلوب" باب: غض البصر عن المحارم وما فيه من الفضل (صـ٢٨٨) رقم (٢٦٨)، وفي "مكارم الأخلاق" باب: ما جاء في حفظ الجار وحسن مجاورته من الفضل (صـ٢٤٢) رقم (٢٣٣) من حديث سيَّار بن حاتم العنزي مختصرًا.

وتمّام في الفوائد، نسخة: زين بن شعيب الإسكندراني (٤٨/١) رقم (٤٧) من حديث سهل بن نصر الطلحي،

وأبو نعيم في "الحلية" ترجمة: جعفر الضبيعي (٢٩٥/٦) من حديث إسحاق بن إبراهيم،

جميعًا من طريق جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَن أَبِي طَارِقٍ السعدي عَن الْحَسَنِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ"؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ:" **اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**".

قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي:" هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَالْحَسَنُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ شَيْئًا، هَكَذَا رُوِيَ عَن أَيُّوبَ وَيُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ وَعَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ قَالُوا: لَمْ يَسْمَعْ الْحَسَنُ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ النَّاجِيُّ عَن الْحَسَنِ هَذَا الْحَدِيثَ قَوْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

وقال أبو نعيم :"غريب من حديث الحسن، تفرد به جعفر عن أبي طارق".

وقال أبو القاسم الطبراني:" لم يرو هذا الحديث عن الحسن إلا أبو طارق، تفرد به جعفر بن سليمان"انتهى.

فمواضع النظر في هذا الإسناد :

ثبوت سماع الحسن من أبي هريرة، والكلام في جعفر بن سليمان، وجهالة أبي طارق السعدي.

فأما سماع الحسن من أبي هريرة رضي الله عنه: فقد قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله في "التمهيد" (٣٢٧/٢٤): "اختُلف في سماع الحسن من أبي هريرة: فأكثرهم لا يصححونه لأنه يدخل أحيانًا بينه وبين أبي هريرة أبا رافع وغيره، ومنهم من يصحح سماعه من أبي هريرة، وقد روي عن الحسن أنه قال:

حدثنا أبو هريرة ونحن إذ ذاك بالمدينة، وقد سمع الحسن من عثمان وسعد بن أبي وقاص؛ فغير نكير أن يسمع من أبي هريرة"انتهى.

وأما جعفر بن سليمان الضبعي: قال ابن سعد في "الطبقات" (٢٨٨/٧): "جعفر بن سليمان الضبعي: مولى لبني الحريش، ويكنى أبا سليمان، وكان ثقة وبه ضعف، وكان يتشيع".

وقال الدوري في "تاريخ ابن معين" (١٣٠/٤) رقم(٣٥٣٣) سمعت يحيى يقول: "جعفر بن سليمان الضبعي ثقة، وكان يحيى بن سعيد القطان لا يكتب حديثه".

وقال الجوزجاني في "أحوال الرجال": (١٨٤) : "روى أحاديث منكرة، وهو ثقة متماسك".

قال الحاكم في "المدخل إلى الصحيح" (١٣٤/٤): "جعفر بن سليمان الضبعي روى له مسلم في الشواهد غير حديث، والذي عندنا أنه صدوق، وإنما أتى من النصب؛ كان يبوح أن طبق فالوذج أحب إلى من أمير المؤمنين".

وأما جهالة أبي طارق السعدي: فقد روى عنه اثنان؛ حميد بن مهران، وجعفر بن سليمان كما ذكر ابن منده في "الكنى والألقاب" (صـ٤٥٣).

وقد أخرج البخاري في "الأدب المفرد" باب: الضحك، رقم (٢٥٢) قال : حدَّثنا سُليمان بن داود أبو الربيع ، قال : حدَّثنا إسماعيل بن زكريا .

و"ابن ماجه" كتاب الزهد، باب: الورع والتقوى، رقم (٤٢١٧) قال : حدَّثنا علي بن محمد ، حدَّثنا أبو معاوية.

كلاهما (إسماعيل ، وأبو مُعاوية) عن أبي رجاء مُحْرز بن عبد الله الجزري ، عن برد بن سنان ، عن مكحول ، عن واثلة بن الأسقع ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :" يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحَسِنْ

جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ".

وأخرجه أبو يَعْلَى، مسند أبي هريرة، رقم (٥٨٦٥) قال : حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ الْجَزَرِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ سِنَانٍ، أَوْ بَرَدٍ، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ عَابِدًا ، وَاجْتَنِبِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ زَاهِدًا ، وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا". ليس فيه : عن مكحول".

قال أبو الحسن الدارقطني في "العلل" (٧/٢٦٣-٢٦٤):" يَرويهِ أَبُو رَجاءٍ مُحرِزُ بنُ عَبدِ الله الخُراسانِيُّ ، وقِيلَ الجَزَرِيُّ واختُلِفَ عَنهُ ، فَرَواهُ إِسماعِيلُ بنُ زَكَرِيّا ، عَن أَبِي رَجاءٍ ، عَن بُردَةَ بنِ سِنانٍ ، عَن مَكحُولٍ ، عَن واثِلَةَ بنِ الأَسقَعِ ، عَن أَبِي هُرَيرةَ.

وَتابَعَهُ المُحارِبِيُّ ، عَن أَبِي رَجاءٍ ، واختُلِفَ عَنِ المُحارِبِيِّ ، فَرَواهُ الأَحمَسِيُّ ، وأَبُو السِّكِّينِ زَكَرِيّا بنُ يَحيَى الطّائِيُّ ، عَنِ المُحارِبِيِّ، عَن أَبِي رَجاءٍ ، عَن بُردِ بنِ مَكحُولٍ ، عَن واثِلَةَ ، عَن أَبِي هُرَيرةَ.

وَرَواهُ هَنّادُ بنُ السَّرِيِّ ، عَنِ المُحارِبِيِّ ، فَأَسقَطَ مِنَ الإِسنادِ مَكحُولًا.

وَكَذَلِكَ رَواهُ أَبُو مُعاوِيَةَ الضَّرِيرُ ، عَن أَبِي رَجاءٍ ، عَن بُردٍ ، عَن واثِلَةَ ، عَن أَبِي هُرَيرةَ".

وعلى الحديث علامة الحسن في كتابي "زوائد الأدب المفرد على الصحيحين" (صـ١٢٥-١٢٦) رقم (٩١، ٩٢).

وسبب التحسين دون التصحيح: الشك في سماع مكحول من واثلة بن الأسقع، والتدليس، فعقب سيدي وشيخي العلامة المحدث أبي محمد أحمد بن محمد شحاتة الألفي بقوله: "ثبت سماع مكحول من واثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك، وأبي هند الداري، ولم يسمع من أحد من الصحابة عدا هؤلاء الثلاثة".

وأنت ترى اختلاف المَخْرجَيْن في كلا الطريقين، مما يصلح أن يكون متابعة معتبرة.

ودونك قول العراقي، رحمه الله:

فإن يقل يحتج بالضعيف * فقل إذا كان من الموصوف**

رواته بسوء حفظ يجبر * بكونه من غير وجه يذكر**

خلاصة الحكم على الحديث:

بعد تتبع طرق الحديث ومخارجه يقوى القول بأن الحديث حسن بمجموع طرقه وشواهده.

المبحث الثاني

بيان الفوائد والنكات المستخرجة من الخبر من كلام أئمة الدّين.

هذه كلمات من جوامع الكلم، رغّب النبي صلى الله عليه وسلم في أخذنا للعمل بها وتعليمها؛ من باب تكميل النفس ثم تكميل الغير؛ فإن كمال النجاة متوقف على تكميل الإنسان نفسه وتكميله غيره، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ١-٣].

فكمّلوا أنفسهم بالتواصي بالحق، وسعوا لتكميل غيرهم بالتواصي بالصبر.

وقول أبي هريرة رضي الله عنه: "أنا" أي: أنا آخذ عنك هذه الكلمات، وفيه إشارة إلى ما كان عليه من الحرص على الخير، وأبو هريرة رضي الله عنه معروف عنه هذا الحرص.

وقوله: "فأخذ بيدي" أي: لعدّ هذه الكلمات، أو لأنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ عند التعليم بيد من يعلمه.

وقوله: "فعد خمسًا" أي: من الخصال، أو من الأصابع على ما هو المتعارف، واحدة بعد واحدة.

وقوله صلى الله عليه وسلم : "**اتق المحارم تكن أعبد الناس**" أي: احذر الوقوع في جميع ما حرم الله عليك، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَقَدۡ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيۡكُمۡ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝١١٩﴾ [الأنعام: ١١٩].

فالمحرمات المقطوع بها مذكورة في الكتاب والسنة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وذكر المحرمات في المطاعم: لما في طعام الناس من الأهمية ووجوب التنبيه؛ فقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣].

وفي المشارب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠].

وفي المناكح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم

مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ [النساء: ٢٣].

وفي المكاسب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وأما السنة ففيها ذكر كثير من المحرمات المقطوع بتحريمها:

كقوله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**" (١).

وقوله صلى الله عليه وسلم : "**كل مسكر خمر، وكل خمر حرام**" (٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام**" (٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**" (٤).

فما ورد التصريح بتحريمه في الكتاب والسنة فهو محرّم مقطوع بتحريمه، وقد

(١)– رواه البخاري، كتاب البيوع ، بَاب: بَيْعِ الْمَيْتَةِ وَالْأَصْنَامِ رقم (٢١٢) ومسلم، كتاب المساقاة، بَاب تَحْرِيمِ بَيْعِ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ، رقم (١٥٨) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما.

(٢) – رواه مسلم، كتاب الأشربة، بَاب: بَيَانِ أَنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَأَنَّ كُلَّ خَمْرٍ حَرَامٌ، رقم (٢٠٠٣) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

(٣) – رواه مسلم، كتاب القسامة، بَاب تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ، رقم (١٢١٨) من حديث جابربن عبد الله، رضي الله عنهما.

(٤) – رواه البخاري، كتاب الشهاددات، بَاب: الشَّهَادَةِ عَلَى الْأَنْسَابِ، وَالرَّضَاعِ الْمُسْتَفِيضِ، وَالْمَوْتِ الْقَدِيمِ، رقم (٢٥٠٥) من حديث عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما.

تستفاد الحرمة من النهي وألفاظه، كما تستفاد من الوعيد الشديد المرتب على الفعل.

فقوله صلى الله عليه وسلم :"**اتق المحارم تكن أعبد الناس**" أي: مِن أعبدهم؛ لأنه يلزم من ترك المحارم فعل الفرائض، فباتقاء المحارم تبقى الصحيفة نقية من التبعات، فالقليل من التطوع من ذلك ينمو وتعظم بركته؛ فيصير ذلك المتقي من أكابر العباد.

ويلزم من ذلك أن يكون العبد عالمًا بالواجب ليقوم به، وعارفًا بكل محرّم فيجتنبه،

ولقد بين الله سبحانه أن تعظيم المحارم خير للعابد فقال : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحج: ٣٠].

قال الحافظ ابن كثير في "التفسير": "أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما يجزيه على فعل الطاعات ثوابًا كثيرًا وأجرًا جزيلًا، كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات"[(١)].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس**"، أي :اقنع بما أعطاك الله وجعله حظك من الرزق، تكن أغنى الناس؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: "**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**"[(٢)].

قال ابن بطال: "معنى الحديث: ليس حقيقة الغنى كثرة المال؛ لأن كثيرًا من

(١) – نفسير ابن كثير (٤١٩/٥).

(٢) – رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب: الغنى غنى النفس، رقم (٦٠٨١)، ومسلم، كتاب الزكاة، بَاب لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، رقم (١٠٥١) من حديث ابي هريرة، رضي الله عنه.

وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس؛ وهو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب؛ فكأنه غنيّ واجد أبدًا"[(١)].

وقال القرطبي: "معنى الحديث: أن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس؛ وبيانه: أنه إذا استغنت نفسه كفّت عن المطامع؛ فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه؛ فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس، ويصغر قدره عندهم؛ فيكون أحقر من كل حقير، وأذل من كل ذليل"[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: "والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعًا بما رزقه الله، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة، ولا يلح في الطلب، ولا يلحف في السؤال، بل يرضى بما قسم الله له؛ فكأنه واجد أبدًا.

والمتّصف بفقر النفس على الضد منه؛ لكونه لا يقنع بما أعطي، بل هو أبدًا في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف، فكأنه فقير من المال؛ لأنه لم يستغن بما أعطي، فكأنه ليس بغني"[(٣)].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

(١) – شرح البخاري لابن بطال (١٠/١٦٥).

(٢) – المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٣/ ٩٥).

(٣) – فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٧٢).

وإذا رأيت من هو أكثر منك مالًا وولدًا، فاعلم أن هناك من أنت أكثر منه مالًا وولدًا؛ فانظر إلى من أنت فوقه، ولا تنظر إلى من هو فوقك، وإلى هذا أرشدك النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:" **انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**"[(١)] .

وقد عرف ابن عطاء الله السكندري رحمه الله، الرضا فقال: " نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد؛ وهو ترك التسخط"[(٢)] وقال المحاسبي رحمه الله تعالى: "الرضا: سكون القلب تحت مجاري الأحكام".[(٣)] فالرضا عن الله تعالى مقام قلبي، إذا تحقق به المؤمن استطاع أن يَتلقَّى نوائب الدهر وأنواع الكوارث بإيمان راسخ، ونفس مطمئنة، وقلب ساكن؛ بل قد يترقى إلى أرفع من ذلك فيشعر بلذيذ مناجاة الله تعالى عند مر القضاء، وذلك نتيجة ما تحقق به من المعرفة بالله تعالى، والحبِّ الصادق له سبحانه.

والرضا بأنواعه المختلفة هو أسمى مقامًا وأرفع رتبة من الصبر؛ إذ هو السلام الروحي الذي يصل بالعبد إلى حب كل شيء يُرضي الله تعالى، حتى أقدار الحياة ومصائبها يراها خيرًا ورحمة، ويتأملها بعين الرضا فضلًا وبركة.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثنا هذا أن الراضي بقضاء الله هو أغنى الناس؛ لأنه أعظمهم سرورًا واطمئنانًا، وأبعدهم عن الهم والحزن والسخط والضجر؛ إذ ليس الغنى بكثرة المال إنما هو بغنى القلب بالإيمان والرضا. ولقد كانت نعمة الرضا من العوامل في تلك السكينة التي شملت قلوب المؤمنين، ومن أقوى الأسباب في مَحْق نوازع اليأس التي يوجدها التفكير في عدم الحصول على

(١) – رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) – الرسالة القشيرية (صـ٨٩).

(٣) – الموضع السابق، وراجع غير مأمور "في رياض العلماء" للمؤلف؛ ففيه شرح لهذه العبارة.

حظوظ الحياة وملذاتها ؛ مما يجلب لصاحبه القلق والحيرة والاضطراب.

ولقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يُعلّم أصحابه ويغرس في قلوبهم الرضا بالله تعالى ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولًا، وكان يندبهم لتكرارها فيقول: "**ما من عبد مسلم يقول حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات: رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا، إلا كان حقًّا على الله أن يرضيه يوم القيامة**"(١) فكانوا يحرصون على تكرارها صباحًا ومساءً، يُعرِبون بذلك عما تُكنُّه قلوبهم من نعيم الرضا بالله والتسليم له.

وما أكثر من يكرر هذا القول بلسانه وهو غير مطمئن القلب به ولا متذوق لمعانيه السامية ولا متحقق بمقاصده العالية؛ خصوصًا حين تزدحم عليه المصائب، وتداهمه الخطوب، وتتكاثف على قلبه ظلمات الهموم والأكدار، أو عندما يُدعى إلى حكم من أحكام الشرع يخالف هواه ويعارض مصالحه الخاصة.

لهذا نرى أن تزْدادَه باللسان فحسب لا يفيد صاحبه إذا لم ينبع من قلبه؛ حيث إن من لوازم الرضا بالله تعالى ربًّا: الرضا بكل أفعاله في شؤون خلقه ؛ من إعطاءٍ ومنع، وخفض ورفع، وضر ونفع، ووصل وقطع.

ومن لوازم الرضا بالإسلام دينًا: أن يتمسك بأوامره ويبتعد عن نواهيه، ويستسلم لأحكامه ولو كان في ذلك مخالفة لهوى نفسه، ومعارضة لمصالحه الخاصة.

ومن لوازم الرضا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولًا: أن يتخذ شخصيته مثلًا أعلى وأسوة حسنة؛ فيتبع هديه، ويقتفي أثره، ويتحلى بسنته، ويجاهد هواه حتى يكون تبعًا لما جاء به، وحتى يكون أحب إليه من والده وولده

(١) – مسند أحمد، حَدِيثُ خَادِمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم (١٨٩٦٧).

ونفسه والناس أجمعين.

وما أجمل ما قاله ابن القيم، رحمه الله : "الرضا باب الله الأعظم، ومستراح العابدين، وجنة الدنيا؛ من لم يدخله في الدنيا لم يتذوقه في الآخرة"[(١)].

وقوله صلى الله عليه وسلم :"**وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا**".

قد أمر الله بالإحسان إلى الجيران؛ فقال تعالى:﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾ [النساء: ٣٦].

وقد كثرت الأحاديث في ذلك، حتى ظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيفرض له نصيب من الإرث والتركة من شدة وصاية الوحي بالجار؛ ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: "**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**"[(٢)].

وجعل الشارع الحكيم الإحسان إلى الجار من شروط وعلامات ومقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر؛ ففي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**"[(٣)].

فإذا لم تقدر على الإحسان إلى جارك فكف الأذى عنه، بل إن من كمال حسن الجوار: احتمال الأذى منه، وأما أذى الجار فمحرم؛ لأن الأذى بغير حق

---

(١) – مدارج السالكين لابن القيم (٢/٢٠٠).

(٢) – رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: الوصاءة بِالْجَارِ، رقم (٥٦٦٩)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب الوصية بالجار، والإحسان إليه، رقم (٢٦٢٥) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

(٣) – رواه مسلم، كتاب الإيمان، بَاب الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ، رقم (٤٨) من حديث أبي شريح الخزاعي، رضي الله عنه.

محرم لكل أحد، ولكن في حق الجار هو أشد تحريمًا؛ ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**"[(١)].

وقوله صلى الله عليه وسلم : "**وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا**" أي: كامل الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد وينقص كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة.

قوله صلى الله عليه وسلم : "**وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا**"

أي: كامل الإسلام، وهو يفيد أنه على قدر نقصان هذا الحب ينقص الإسلام.

وقد رتّب النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الخصلة دخول الجنة؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه**"[(٢)].

وإنما يصل المرء إلى هذه الرتبة بكمال سلامة صدره من الغش والغل والحسد؛ فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحدٌ في خير أو يساويه فيه؛ لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك؛ وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه من شيء.

وفي الجملة: ينبغي للمؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما

---

(١) – رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه ، رقم (٥٦٧٠) من حديث أبي شريح ،رضي الله عنه، ومسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ تَحْرِيمِ إِيذَاءِ الْجَارِ، رقم (٤٦) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) – رواه مسلم في حديث طويل، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الْخُلَفَاءِ، الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، رقم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما.

يكره لنفسه؛ فإن رأى في أخيه المسلم نقصًا في دينه اجتهد في إصلاحه، وإن رأى في غيره فضيلة فاق بها عليه فلا عليه أن تمنى لنفسه مثلها، فإن كانت الفضيلة دينية كان حسنًا، وإن كانت دنيوية فلا خير فيها؛ وقد قال تعالى:﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ...﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

وقال تعالى عن قارون:﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص: ٧٩].

فلما خسف الله به وبداره الأرض قال الذين تمنّوا مكانه بالأمس:﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: ٨٢].

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "**ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**".

ففيه النهي الظاهر عن كثرة الضحك، وبيان علة النهي وهي: أن كثرة الضحك تميت القلب.

أي: تجعله مغمورًا في الظلمات، بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها شيئًا من مكروه، وحياة القلب وإشراقه مادة كل خير، وموته وظلمته مادة كل شر؛ وبحياته تكون قوته وسمعه وبصره، وتصور المعلومات وحقائقها على ما هي عليه.

وفي الحديث إيذان بالإذن في قليل الضحك لا سيما للمصلحة، وهذا هو هدي النبيين وعباد الله الصالحين؛ قال تعالى عن سليمان عليه السلام لما سمع قول النمل: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ...﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

وفي الحديث عن سعد بن أبي وقاص قال: كان رجل من المشركين قد أحرق

المسلمين[١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد: "**ارم فداك أبي وأمي**"، قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جنبه، فسقط فانكشفت عورته؛ فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى نظرت إلى نواجذه.[٢]

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولًا: رجل يخرج من النار حبوًا، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب، وجدتها ملأى! فيقول: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب، وجدتها ملأى! فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك الدنيا وعشرة أمثالها، فيقول: تسخر مني، أو: تضحك مني وأنت الملك؟!** فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلًا.[٣]

ولكن هذا الضحك منه صلى الله عليه وسلم كان على غير عادته صلى الله عليه وسلم؛ فقد كان جل ضحكه التبسم؛ كما في الحديث عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سَمُرة: أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم كثيرًا، كان لا يقوم من مُصلّاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم.[٤]

ولقد بلغ من سماحة الإسلام أن جعل التبسم وطلاقة الوجه عند لقاء الأخ

(١) – أي: اثخن فيهم القتل وكأنه نار أصابتهم.

(٢) – رواه مسلم، كتاب الفضائل، بَاب فِي فَضْلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٤١٢).

(٣) – رواه البخاري، كتاب الرقاق ، بَاب: صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم (٦٢٠٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، بَاب آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا، رقم (١٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٤) – رواه مسلم، كتاب الصلاة، بَاب فَضْلِ الْجُلُوسِ فِي مُصَلَّاهُ بَعْدَ الصُّبْحِ، وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ، رقم (٦٧٠).

لأخيه من الصدقات؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**".(١)

إن الإسلام دين شامل لكل منحى من مناحي الحياة، راعى في البشر فروقهم الفردية ونوازعهم الداخلية؛ فلم يخلقهم ربهم قوالب مصبوبة، أو نسخًا متشابهة؛ لذلك لم يفرض عليهم – ولم يفترض فيهم – أن يكون كل كلامهم ذكرًا، وكل صمتهم فكرًا، وكل فراغهم في المسجد، وإنما اعترف بهم وبفطرهم وغرائزهم التي خلقهم عليها، وقد خلقهم سبحانه يفرحون ويمرحون، كما يحزنون ويتأثرون، ويضحكون ويلعبون، كما يجدّون ويهتمون، كما خلقهم يأكلون ويشربون.

فلا بأس على المسلم أن يتفكه ويمزح بما يشرح صدره، ولا حرج عليه أن يروّح عن نفسه ونفوس رفقائه بلهو مباح: على ألا يجعل ذلك ديدنه وخُلُقَه في كل أوقاته، ويملأ به صباحه ومساءه؛ فينشغل به عن الواجبات ويهزل في موضع الجد؛ ولذا قيل: أعط الكلام من المزح بقدر ما يُعطي الطعام من الملح.

ومما يحسن التنبيه عليه في هذا المقام، وعن هذه الوصية المباركة منه صلى الله عليه وسلم للأمة كلها في شخص أبي هريرة، رضي الله عنه:

- أن كثيرًا من أصحاب المشاكل النفسية؛ من اضطراب ذهني، ووساوس، وخيالات، وشعور بالاضطهاد، ونبذ المجتمع ومعاداته، والقلق، والاضطراب في النوم أو في غيره =إذا امتثلوا هذه الوصية المباركة تحسنت حالتهم كثيرًا إن لم يبرؤوا بالكلية؛ فاتق المحارم تكن أعبد الناس، والعباد مشمولون برعاية الله تعالى وعنايته، وإقلاع أصحاب الذنب عن ذنبهم يورثهم راحة وطمأنينة؛ فكم حكى أصحاب الذنوب –ونحن منهم– عن اضطراباتهم وألمهم بعد كل ذنب يذنبونه، فإن تابوا وأنابوا ورجعوا عن غيهم ومخالفتهم انشرحت صدورهم واطمانت قلوبهم،

(١) – انظر غير مأمور "النجم الأغر" للمؤلف ففيه الحديث وبيان فوائده.

وصفت اذهانهم، وعادوا إلى حياتهم الطبيعية؛ فالشعور بالذنب مهلك، واستمراره مفسد، ومع التوبة يغسل الواحد نفسه من درن الذنب، وتغير حالِه من المذنب إلى الطائع تعود عليه بنفع كبير في الدارين.

- الرضا بأنواعه؛ سواء عن المرض، أو فقد غالي وعزيز، أو إيذاء من مقرب أو بعيد =فالرضا عن هذا كله والانقياد والاستسلام لحكم الرب الرحيم – تعالى في كل هذا– يورث الإنسان طمأنينة عجيبة تصبح أقوى مع مرور الأيام؛ فتتحول هذه الطمأنينة إلى حالة من الفعل على أرض الواقع؛ فيجد الإنسان سعادة في قلبه واستقامة على جوارحه، ورضا عن الله تعالى ، ثم رضا عن نفسه، فما أسعده من إنسان!

- الإحسان إلى الآخرين وسيلة ناجعة وطريقة نافعة لعلاج كثير من حالات الانحراف والاضطراب، وأنت ترى في بعض الدول يحكمون على مرتكبي بعض المخالفات الخفيفة بخدمة المجتمع وبذل الوقت والجهد لخدمة الآخرين ونفعهم، وما أجمله من شعور عند المتطوعين ومحبي العمل الخيري؛ حيث يشعرون بقيمة عالية لوجودهم كأفراد نافعين منتجين مؤثرين، وحاجة الإنسان ليشعر أنه مرغوب بوجوده، مطلوب لعلمه أو بذله، حاجة أصيلة في الإنسان؛ فهو اجتماعي الخلقة، يحب الناس ويحب أن يحبه الناس، يتأثر بهم ويحب أن يؤثر فيهم؛ فمن وسائل العلاج السلوكي التي تستفاد من هذا الحديث: توجيه المريض إلى مزيد بذل وعطاء للآخرين على قدر قدرته، وبالمستوى النافع له.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ * لطالما استعبد الإنسان إحسان**

- وما قد يتوهم لمن لا يحسن صناعة العلم أن المدارس الحديثة في الطب والعلاج توصي بالضحك كعلاج نافع لكثير من الأمراض، فليس في الحديث ما يناقض هذا أو يصادمه، بل يوجهه ويقننه؛ فالضحك المخْرِج للإنسان عن حد الاعتدال لا شك ضحك مؤذ، وهو نوع من السخف والحماقة؛ فإن من ضحك

حتى سمعت قهقهته على بعد أمتار، وسقط على الأرض أو ضرب بقدميه أو صفق بيديه =فليس هذا بعلاج، ولا هو من مكارم السلوكيات، بل هو عبث يجل أصحاب الجدية في حياتهم عنه، إنما الضحك المقصود في الخبر وعند أهل العلاج والاختصاص هو: الضحك المنضوي في حد الاعتدال، فيه سعادة القلب وانشراح الصدر ومجم الفؤاد، وأنت تلحظ في الحديث: "**إياك وكثرة الضحك**" وتفهم منه النهي عن الإكثار من الضحك حتى يصبح عادة وطبعًا وسجية يصعب معه التخلص منه في أوقات الجد والاهتمام، وقديمًا قالوا: ما زاد عن حده، فضرره أكثر من نفعه.

وهذا أوان وضع القلم، وإن لم يكن أوانه، ففي الحديث فوائد عظيمة وفرائد نادرة يقف لها العلماء، ويتناولها الجهابذة الفضلاء، فهذا مبلغ العلم ووسع الطاقة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فما كان فيه من صواب فلله فيه الفضل والمنة والإنعام، وما كان فيه من خطأ ندّ به القلم، أو قول لم يسدد بفهم، فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

من خلال النظر والتتبع لطرق حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ"؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا، وَقَالَ:" **اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**"

فإنه يقوى القول بثبوت الحديث وكونه حسنًا بمجموع طرقه وشواهده؛ تشهد عباراته بأنه خرج من مشكاة النبوة، ومن مَعِين الرسالة، وعلى هذا جرى عمل طائفة كبيرة من العلماء رحمهم الله تعالى.

والحديث حقيق بدراسة نفسية تربوية عميقة، تساهم في النهضة الفكرية والتربوية في المجتمع المسلم، بل وتتجاوزه إلى ما سواه، وصدق الله تعالى حيث أثنى على حبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم بقوله جل ذكره:﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي الأخير: ليعذرني أساتذتي، فقد بدأت رسالتي بالحديث وأهله –أنعم بهم من أهل– وخضت غمار البحث والتحقيق–وما أوعره من درب، وأطوله من طريق– ثم تطرقتُ إلى فوائد علمائنا، ودرر مشايخنا، وألجأني المسير إلى درب علماء النفس لاستخلاص الفوائد والحكم؛ فها هي غضة طرية كما وفقني الله تعالى فيها، فمن وجد خيرًا فليدع بخير، ومن وجد غير ذلك فالسماح السماح.

وإن تجد عيبًا فسد الخللا* جل من لا عيب فيه وعلا**

والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحوال الرجال، للجوزجاني، المحقق: عبد العليم عبد العظيم البَستوي، دار النشر: حديث اكادمي – فيصل آباد، باكستان.
- الأدب المفرد، للبخاري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.
- اعتلال القلوب، لمحمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثاني،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- تاريخ ابن معين برواية الدوري، ليحيى بن معين، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، الناشر : مركز البحث العلمي وإحياء ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى/ ١٣٩٩هـ _ ١٩٧٩م.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمروي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- حلية الأولياء لأبي نعيم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥.
- الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

- زوائد الأدب المفرد على الصحيحين، لمحمد بن محمود بن مصطفى الإسكندري أبو عبد الرحمن، الناشر: دار ابن حزم، سنة النشر: ١٤٢٣ – ٢٠٠٣.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي _ دار الفكر ، بيروت.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي – تحقيق: بشار عواد معروف.
- شرح صحيح البخارى لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد – مكتبة الرشد، بومباي الهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا _ دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي _ دار إحياء التراث ، بيروت.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق: إحسان عباس _ دار صادر ، بيروت.
- علل الدارقطني، لأبي الحسن الدارقطني، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله _ دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ _ ١٩٨٥م .
- فتح الباب في الكنى والألقاب، لابن مَنْدَه العبدي، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: مكتبة الكوثر – السعودية – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

- الفوائد، لتمام الرازي ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي _ مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
- في رياض العلماء، لمحمد بن محمود مصطفى الإسكندري، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
- مسند أبي يعلى، لأبي يعلى الموصلي ، دار المأمون للتراث.
- مسند أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرين _ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ _ ٢٠٠١م .
- المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله – دار الحرمين، القاهرة.
- معجم الشيوخ، لابن عساكر، المحقق: وفاء تقي الدين، دار البشائر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
- مكارم الأخلاق، للخرائطي، تحقيق الدكتور: فاروق حمادة، الناشر، الرئاسة العامة للإفتاء والبحوث العلمية بالسعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
- النجم الأغر في وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر، لمحمد بن محمود مصطفى الإسكندري، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى: ٢٠٠٥م.